للأب متى المسكين

إيماننا بالمسيح
وكيف يتزكى بالتجارب[1]

+ «لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١بط١: ٧)

كثير من المسيحيين يؤمنون بالمسيح إيمانًا خاطئًا، أو تلقنوا مفهومات قديمة موروثة من العهد القديم وعاشوا بها إلى يومنا هذا.

هم آمنوا أن السيد المسيح يضمن لهم الصحة الجسدية والبركة الأرضية، يُكثر لهم ثمرة البطن ويبارك في الأرزاق ويحفظ الأرض والروح والمال والأولاد من الفساد والأمراض. وهو ينقذهم من أعدائهم الجسديين وينصرهم وينجيهم من ظلم الناس وكيد الأعداء وجور السلطان... هذه كلها مفهومات العهد القديم الذي كانت فيه المكافأة عن العمل الصالح بالخيرات الزمنية، مع أن المسيح له المجد في العهد الجديد لم يعدنا إطلاقًا بشيء مثل هذا على الأرض. لقد رفع المسيح المكافأة إلى المفهوم الروحي في الدهر الآتي. وإذا أمعنا النظر في حياة المسيح نفسه عندما كان على الأرض فسنجده كذا مفسدًا أكثر من الرجل، لا منظر له ولا جمال، مضطهدًا ومحتقرًا ومرذولًا ومضروبًا ومظلومًا ومحكومًا عليه بالموت...!!

+ هذا الإيمان المزيَّف الذي استلمه البعض يجتاز الآن اختبارًا شديدًا وسط العالم المتمدين، فإن وسائل الراحة والمتعة الجسدية والرفاهية والتقدم العلمي في علاج الأمراض وحل المشكلات وتسهيل سُبل الحياة جعلت الإنسان يستغني عن المسيح

---

(١) كلمة روحية ألقاها الأب متى المسكين على الآباء في وادي الريان في ستينيات القرن الماضي..

الذي تعلموه أنه يحافظ عليهم في أسفارهم، وينعم لهم بالصحة الجسدية ويبارك في صحة الأولاد ... إلخ.

ولكن ما السبب في ضعف الإيمان بعد انتشار هذا الإيمان المزيف؟!

ربما البعض عرفوا المسيح ونشأوا في جو مسيحي كنسي، ولكن عندما طلبوه في أمورهم الخاصة وجدوه أنه لا يستجيب لهم في طلباتهم الجسدية الأرضية، أو هم طلبوه لينقذ حياة عزيز لديهم ولم يستجب، أو حتى لما توسَّلوا إليه لإنقاذ ابن أو ابنة من الخطية لم يُظهر أي استجابة... فمثل هؤلاء يفقدون إيمانهم بالكلية في شخص ربنا يسوع.

ربما تقول لي: فلان صلى إلي الله فشفاه، وآخر صلى فنزل ملاك من السماء وعمل له عملية جراحية ونجَّا حياته... أقول لك: هذا صحيح وممكن وأومن به، ولكن هذا على المستوى الفردي وعلى سبيل الاستثناء، وليس على المستوى العام، ولا أستطيع أن أنادي بهذا الإيمان للجميع، فالذي يأتي إلي المسيح ويسير وراءه لابد أن يكون مستعدًا أن يشكر في كل ضيقة ويصلي ولا يُستجاب له، وخصوصًا في الأمور المادية الجسدية.

هناك مبدأ هام يجب أن يعيه الإنسان المؤمن وهو أن الأشياء الجسدية في ذاتها لا تتعارض مع الطريق الروحي، ولكنها الذات هي التي تعترض هذا الطريق. فيمكن أن يكون الشخص الروحي يملك كل وسائل الراحة ولا يفقد روحانيته. أما إذا كان له ذات يغار عليها ويطلب كرامتها ويرى مزاجها ويُكمِّل شهواتها؛ هنا يكون كل التعارض، حتى لو كان الإنسان فقيرًا معدمًا لا يملك شيئًا .

إنَّ ذات الإنسان تحاول أن تسلب حق الله وكرامة الله ومجد الله، وهكذا يتعطل خلاص الإنسان. فإن لم ينكر الإنسان ذاته لا يستطيع أن يكون تلميذًا للرب، ولا يقدر أن يتبعه. أمَّا الشخص الذي ماتت ذاته؛ فقد صار ميتًا عن العالم وعن الناس وعن شهوات وملذات جسده.

الناس يريدون إلهًا يُنجِّيهم من البحر ويساعدهم في صيد الوحوش ويضمن لهم السفر في الهواء ويُكثر لهم ثمار الأرض ويبارك لهم في كل ممتلكاتهم ونسلهم .. ولكن المسيح ليس كذلك.

فالذين قبلوا المسيح وآمنوا به علي هذا الأساس هؤلاء لابد أن يصطدموا به ويُعثروا.

الكنيسة الآن محتاجة إلى كرازة جديدة لكي يتعلم المؤمنون عن المسيح حقيقته الإنجيلية: «إِلهِي إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (مت٢٧: ٤٦)، فالمسيح بحسب الظاهر هو في حالة تخلية من الآب، أما في الحقيقة الداخلية السرية فهو: «فِي يَدِكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي» (لو٢٣: ٤٦). هذا هو الإيمان المسيحي الحقيقي. فنحن بحسب الظاهر وبمقتضى العالم والجسد متروكون ومُضطَهدون ومُذلون ومُعوزون، أما بحسب الروح فنحن غير متروكين وغير مطروحين وغير هالكين، وأرواحنا في يدي الرب. صحيح أننا لا نملك شيئًا، ولكن في حقيقة الأمر نحن «نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ» (انظر: ٢كو ٦: ١٠). فالتخلية ظاهرية بالنسبة للجسد والذات، أما بحسب الروح فالرب لن يتخلى عنا ولن يتركنا ولن يهملنا. هذا هو الإيمان المستقيم الصحيح.

وهناك نقطة هامة في جهادنا لا بد أن نعرفها جيدًا وهي أنه عندما نصل إلى الحالة القصوى في التجربة وتصير التجربة مرة جدًّا في حياتنا، ولا نحس بوجود الرب على الإطلاق، ثم صبرنا على هذه الحالة حتى النهاية، ولم نتذمر بل شكرنا الرب، عندئذ يصير لنا هذا الشكر وهذا الصبر بداية جديدة لإيماننا الذي كدنا نفقده، وتنتهي التجربة في الحال عند هذا الحد، «الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى **الْمُنْتَهَى** فَهذَا يَخْلُصُ» (مت١٠: ٢٢).

لاحظ أن المقصود بكلمة "المُنتهى" بالنسبة لنا، هو منتهى التجربة الخاصة بنا. ربما وأنت شاب في ريعان الصبا تجد أنك فقدت حتى مجرد حقوقك الطبيعية في الحياة، مثل أن تكون قد أُصبت بمرض يورِّثك القلق والموت مثل السرطان أو السكر، فتقف أمام الله محتجًّا: كيف لا تعطيني يا رب، حتى مجرد الحياة ؟ ولماذا خلقتني؟ !!

هنا تظهر الذات في أعنف صورها أنها مازالت موجودة وحيَّة، وبوجودها لا يمكن الخلاص على الإطلاق! وحتى ولو أعطاك الرب الشفاء والحياة؛ فلن تستطيع الخلاص مالم تمتْ الذات أولًا، وإن كان بتجارب كثيرة ومُرة، لأنه لا توجد وسيلة لإماتة الذات إلا بالضيقات والتجارب: «بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ» (أع١٤: ٢٢).

الشخص الذي ماتت ذاته يستطيع بنعمة الله أن يشكر في عمق الضيقة مهما بلغت،

لأنه سوف لا يكون هو الحي، بل المسيح الذي يحيا فيه .

نحن مُطالبون كمؤمنين أن نؤمن بوجود الرب في حياتنا، حتي ولو فقدنا كل المظاهر المحسوسة لوجوده، وهذا هو الإيمان الصحيح.

إيماننا لا يُحسب لنا إلا إذا دخل التجربة وفُحص (١بط١: ٧)، وبدون التجربة يظل كلامًا فقط.

ولكي نُبلور الموضوع نقول: إنه يجب أن نتيقن تمامًا أن الله، وإن كان بحسب الظاهر يتخلَّى عن أجسادنا، إلا أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يترك أرواحنا.

الله لن يتركنا أبدًا، وكل تجربة نجتازها هي بمقياس إلهي، ولا يمكن أن يسمح الرب أن نُجرب بقدر أعلى من إيماننا (١كو١٠: ١٣).

الأب متى المسكين

****

✠✠✠ من أقوال الأب متى المسكين عن ميلاد المسيح ✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠

- بميلاد المسيح سمع الإنسان لأول مرَّة - بعد خطيئة آدم - صوتاً من السماء يعزِّي قلب الإنسان ويدعوه للسلام والسرور. مباركٌ هذا اليوم لأنه يوم عزاءٍ للبشرية[١] .
- ميلاد المسيح يشهد شهادة حيَّة ناطقة أشد ما يكون النطق أنه هكذا أحب الله الإنسان، أحبَّه حبًّا في ذاته، فأخذ منه جسدًا اتحد به، واتخذه لنفسه إلى الأبد[٢] .
- ميلاد المسيح هو عهد حب مُعلَن من الله تجاه كل إنسان، كوثيقة تتنازل مذهلة سجَّلها الله على نفسه في بيت لحم، في شخص يسوع المسيح، باستعداد التنازل عينه إزاء دعوة كل إنسان للحب والاتحاد[٣] .
- المسيح دخل ومعه كل حب الآب!! هذا التصوُّر حقيقي وهو كفيل بحد ذاته أن يُشعلنا نارًا[٤] .

---

(١) من كتاب أعياد الظهور الإلهي، طبعة ٢٠١٤، ص ٨٤.
(٢) نفس المرجع ص ١٧١.
(٣) نفس المرجع ص ١٧١.
(٤) نفس المرجع ص ٢٠٣.